

# 55 صالة 150 فنّانًا 18 بلدًا أربعون ألف زائر وحسين ماضي يفاجئ ويدهش "بيروت آرت فير" العاشر فضاء تشكيليّ خلاق يبرق في زمن العاصمة الدامس

"بيروت آرت فير"، هذه السنة، يحقق، بلد جدال، في نسخته العاشرة، حفرةً نوعيّةً إلى الأمام، من حيث رؤاه ومضامينه وخصائصه، مستفيدًا من تجارب الأعوام الماضية، ومن تفاعلات منظّمه مع طموحات متدوّقي الفنّ ومقتني الأعمال وصالات العرض والفنّانين المتعدّدي الأجيال، المحليّين والعرب والأجانب، الذين يحدون في مختبر العاصمة اللبنانية فرصة حقيقيّة لترويج الفنون والتلاقح وطرح الأسئلة وإثارة النقاش حول مواضيع الفنّ المختلفة. أسدلت الستارة ليل أمس على هذا الحدث. في ما يأتي، إشاراتٌ ودلالاتٌ من المفيد أخذها في الاعتبار.

## علا المويّط

55 صالة عرض مشاركة، بينها 11 صالة لبنانيّة؛ 150 فنّانًا من 35 جنسيّة، بينهم 25 لبنانيّة، جلاؤوا من 18 بلدًا؛ عدد الزوّار كان بلغ صباح أمس الأحد 35 ألف زائر، ويتّوقع أن يلامس الأربعين ألفًا ليلًا. من المثير للاهتمام أنّ 95 في المئة من صالات العرض شهدت حركة مبيعات كبيرة، إلى درجة أن بعض الصالات اضطرت إلى عرض أعمال إضافيّة جديدة. اللافت أيضًا أنّ الزوّار الأجانب بين خبراء اختصاصيين وأصحاب صالات ومقتني فنون ومشتغلين في متاحف عالمية وفنّانين، بلغوا 3100 شخص، ويتوقّف باهتمام المعنويين المباشرون بالتظاهرة أمام حركة البيع التي فاقت كل توقّع، الأمر الذي من شأنه أن يرمي ظلاله الإيجابيّة في ظل الركود الاقتصاديّ الشامل.

هذه المعطيات لا تتكلّ مسألة عرضيّة في بلد يعاني ما يعانيه، ويتعرّض فنّانوه

وصالات عروضه الفنيّة ومتدوّقو الفنّ فيه والرابعون في الاقتناء إلى تحديات هائلة تطرح أكثر من علامة استفهام حول مستقبل التشكيل برتقه، وحول احتمالات تحصيل وجوده في الحياة العائليّة، وسبل تسويقه المشرّقة، في ظل ظروف اقتصاديّة خانقة، تتواكب (في الغفاه طبعًا وتحت الطولية) مع ممارسات انتهازيّة جيّدة، على أيدي مقتنصي فرص من تجار - صيارفة يتعرّون الفنّانين ويمتصّون دماء ألوّاهم الخلاقة واجتهاداتهم المضيئة، عارضين عليهم شراء أعمالهم بأبخس الأثمان.

إلا أنّ أكثر ما يلفت في تظاهرة "البيال"، أنّ الزائر المحليّ إذ يترك المدينة المرعبة، وراه فإنه يلاقي مدينةً ثانية، مفتوحة، مشرّقة، غنيّة، زاخرة بالبحث والسؤال والاختبار، ضاحجة بعوالم مختلفة جدًا عن الأولى. منه، لا يمكن الزائر، وخصوصًا إذا كان "مواطنًا" رزحًا تحت ثقل الظروف، أن يبقي محايده، أو لامبالته، أو قلقة، أو مستسلمًا للأمر الواقع الجمعي. إنه

موجود تحت سما حرة، وفي فضاء حلميّ تخييليّ خلاق وحز، وهو، فيه، محزّ تمامًا برى نفسه مدعوًا للتزوّد، باعتباره يصبح مندرجًا في رفقة حيوات ديناميّة مشرّقة، مسفرّرة (إيجيبيّة)، مناهضة لحياة المدينة المعروفة، بحيث يمنحه فضاء "البيال"، هو المدفّقة أفواجها بكثافة طوال اليومين الأخيرين الماضيين من التظاهرة، فرصة نادرة، متنوّعة، لمعالجة أحوال الفنّ، ثوابته، تطمئنّه وتغيّراته هنا وفي العالم، رسماً وتصويرًا فوتوغرافيًا وتجميعًا وفيدويّو آرت.

توقّفت بعين عميقة أمام المشاركات الفرنسيّة، صالات عرض ورشامين، التي إن دلّت على شيء، فعلى أنّ فنّ اللوحة بالفنّ خير، وهو ينطوي على أبحاثٍ وخرجات واختبارات توسّع المدارك، وتفتح الأفاق، بمعالجاتها المشرّقة على كل الاحتمالات، المحكّة والمسجّدة، التي لا تستعين، ولا تطمئنّ إلى سطح أو قوام، إلى جانب فنّ اللوحة، فنون تشكيليّة تومئ إلى احتمالات لا يغيب عنها التصوير الفوتوغرافيّ أو التجميع أو النص، أو سواها من الاجتهادات المرافقة لأسئلة الثقافة البصريّة عمومًا.

ثمّ توقّفت تواليًا، وبتانتبه، أمام المشاركات الألمانيّة والإسبانيّة، الأمر الذي يجعل الزائر حقًا - بالإضافة إلى المشاركة السوريّة المعروفة جيّدًا في لبنان - أمام تجارب غنيّة وقويّة ولافتة، تشي بعوالم من الجذبة والعمارة والتخييل والاختبار.

## "حسين ماضي الأول"

على مقربة، أتاحت لي فرصة اكتشاف حسين ماضي، "حسين ماضي الأول"، كما لو أنّي لم أعرف لوحت من قبل. هذه حقيقة يجب إعلانها على العالم، وبالصوت الجيهر، وبالبحر الملائن، أعمال لهذا الفنّان اللبناني الكبير، تكشف النقاب عنها في لبنان، للمرة الأولى على الأرجح، فنكتشف حقبة ثريّة من حقبته ومرامله، في المحبّة الإيطاليّة، التي ترافقت مع دراسته



الحركة التشكيليّة اللبنانيّة، كما تتبيح للمتلقّي المحليّ فرصة أن يقارن بين هذه الأعمال المحليّة وما يوزّنها من معروضات زائرة. ملاحظة أخيرة، قد يكون من المفيد أن يعمل المعنويّون الرسميون وغير الرسميين بالثقافة، على دراسة العبر والدلالات الإيجابيّة المرافقة للتظاهرة والنجاحة، والعمل على توظيفها واستثمارها لصالح حركة الفنّ في لبنان.

العرض لرؤية كلّ الأعمال التي رسمها حسين ماضي في إيطاليا، وهي جديرة بأنّ توضع في صالات تحمل اسمه، وتكون متاحة أمام طلبة الفنّ ومتدوّقيّه. الحضور اللبنانيّ متنوّع، أجيالًا واتجاهاتٍ وتجارب. وإذا كانت عالميّة الأعمال المعروضة هي من تلك التي شاهدناها في معارض خاصّة أو في صالات عرض أو محترفات، إلا أنّ إعادة توضعها في إطار هذه التظاهرة العالميّة، تتبيح للعارضين الأجانب والعرب وتجّار الفنون التعرّف عن كثب إلى ظواهر مختلفة من

الفنّ هناك، وعكست اهتممه بالأمكنة التي عاش فيها وزارها، وتركت بصماتها على ضربات ريشته وألوانه ومختلّته. يمكن اكتشاف حسين ماضي الانطباعيّ، التعبيريّ، والحامل تطاماتٍ طبيعيّة، في لوحاتٍ تروي من حيث التمرس بلعبة الظل والضوء، أو من حيث بناء المشهد، كباشر رسامي المراحل الانطباعيّة القريبية، متأنّة ورؤيويّة. ما هنا لوحات تعود إلى السنتينات من القرن الماضي، تشي بمرسوخ المكانة المنتظرة لهذا الفنّان. يجب أن تتاح الفرصة أمام الجمهور اللبنانيّ

